

306472 - هل تصح قصة رؤيا مالك بن دينار التي كانت سببا في توبته ؟

السؤال

ما هي صحة قصة مالك بن دينار التي تتحدث عن رؤياه التي كانت سبباً في هدايته ؟ وهل نشر القصص التي لا نعلم صحتها من عدمها نأثم عليها ؟

الإجابة المفصلة

أولاً:

مالك بن دينار، أبو يحيى البصري، الزاهد، كان أبوه من سبي سجستان . وقيل : كان كابلياً .

مولى امرأة من بني ناجية من بني سامة بن لؤي، ويقال : مولى خلاص بن عمرو بن المنذر بن عصر بن أصبح بن عبد الله .

كان عالماً زاهداً كثير الورع، فنوعاً لا يأكل إلا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة .

وروي عنه أنه قال : قرأت في التوراة : أن الذي يعمل بيده ؛ طوبى لمحياه، ومماته.

وكان يوماً في مجلس وقد قص فيه قاص، فبكى القوم، ثم ما كان بأوشك ما أن أتوا برؤوس، فجعلوا يأكلون منها، فقيل لمالك : كل . فقال : إنما يأكل الرؤوس من بكى، وأنا لم أبك، فلم يأكل .

ويقال : إنه أقام أربعين سنة لا يأكل من رطب البصرة، ولا من تمرها، وإنه وقع حريق بالبصرة، فقال شباب الحي : بيت أبي يحيى مالك بن دينار، فخرج من منزله متزراً ببارية وبيده مصحف وقال : فاز- أو نجا -المُخْفُونَ .

مات رحمه الله سنة سبع وعشرين ومئة .

وينظر ترجمته في: "تاريخ دمشق" لابن عساكر (393 /56)، "وفيات الأعيان" (139 /4)، "قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر" (92 /2)، "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" (137 /27)، "سير أعلام النبلاء" (362 /5) .

ثانياً:

القصة المشار إليها ذكرها ابن قدامة في "كتاب التوابين" (ص: 124)، فقال :

وروي عن مالك بن دينار، أنه سئل عن سبب توبته فقال: " كنت شرطيًا ، وكنت منهمكا على شرب الخمر ، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ، ووقعت مني أحسن موقع ، فولدت لي بنتا ، فشغفت بها ، فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حبا ، وألفتني وألفتها .

قال : فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي ، جاءت إلي وجاذبتني عليه ، وهرقتة من ثوبي .

فلما تم لها سنتان ماتت ، فأكدني حزنها .

فلما كانت ليلة النصف من شعبان ، وكانت ليلة الجمعة ، بت ثملا من الخمر ، ولم أصل فيها عشاء الآخرة ، فرأيت فيما يرى النائم : كأنَّ القيامة قد قامت ، ونفخ في الصور ، وبعثت القبور ، وحشر الخلائق وأنا معهم ، فسمعت حسًا من ورائي ، فالتفت ، فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون ، أسود أزرق ، قد فتح فاه مسرعا نحوي .

فمررت بين يديه هاربا فرعًا مرعوبًا ، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقلت: أيها الشيخ ! أجرني من هذا التنين أجاك الله .

فبكى الشيخ ، وقال لي : أنا ضعيف ، وهذا أقوى مني ، وما أقدر عليه ، ولكن مرّ وأسرع ، ففعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه .

فوليت هاربا على وجهي ، فصعدت على شرف من شرف القيامة ، فأشرفت على طبقات النيران، فنظرت إلى هولها ، وكدت أهوي فيها من فرع التنين ، فصاح بي صائح : ارجع ، فلست من أهلها! فاطمأنت إلى قوله ، ورجعت .

ورجع التنين في طلبي ، فأتيت الشيخ فقلت : يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين، فلم تفعل، فبكى الشيخ ، وقال : أنا ضعيف ، ولكن سر إلى هذا الجبل ، فإن فيه ودائع المسلمين ، فإن كان لك فيه وديعة ، فستنصرك .

قال : فنظرت إلى جبل مستدير من فضة ، وفيه كوى مخرمة ، وستور معلقة ، على كل خوذة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر ، مفصلة باليواقيت . مكوكبة بالدر ، على كل مصراع ستر من الحرير ، فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هاربًا والتنين من ورائي ، حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة : ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا ! فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه ، فإذا الستور قد رفعت ، والمصاريع قد فتحت ، فأشرف علي من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمار ، وقرب التنين مني ، فتحيرت في أمري .

فصاح بعض الأطفال: ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه .

فأشرفوا فوجا بعد فوج ، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم ، فلما رأتنني بكت وقالت: أبي والله ، ثم وثبت في كفة من نور ، كرمية السهم ، حتى مثلت بين يدي ، فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ، ومدت يدها اليمنى إلى التنين ، فولى هاربا.

ثم أجلسني وقعدت في حجري ، وضربت بيدها اليمنى إلى لحيّتي ، وقالت : يا أبت (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) [الحديد: 16] .

فبكيت وقلت : يا بنية ! وأنتم تعرفون القرآن ؟ فقالت : يا أبت ! نحن أعرف به منكم .

قلت : فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني ؟

قالت : ذلك عملك السوء ، قويته ، فأراد أن يغرقك في نار جهنم .

قلت : فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي ؟

قالت : يا أبت ! ذلك عملك الصالح ، أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء .

قلت : يا بنية ! وما تصنعون في هذا الجبل ؟

قالت : نحن أطفال المسلمين ، قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ، ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم .

قال مالك : فانتبهت فزعا ، وأصبحت ، فأرقت المسكر ، وكسرت الآنية وتبت إلى الله - عز وجل - وهذا كان سبب توبتي " انتهى .

وقد ذكر القصة أيضًا : ابن الجزري في "الزهر الفائح" (ص 45).

وهذه القصة مذكورة بلا إسناد ، وفيها بعض ما ينكر ، ومن ذلك :

1- أنه كان سكيرًا ، يشرب الخمر ، ولم يذكر هذا من ترجم له من الأئمة المحققين كابن عساكر والمزي والذهبي وغيرهم !

2- أنه تزوج جارية ، وأنجب منها بنتا ، وهذا أيضا لم يذكر في ترجمته !

ولو كانت هذه القصة صحيحة ؛ لذكرها من ترجم له من أهل التراجم والتاريخ ، وهم أئمة علماء محققون ، كابن عساكر وابن خلكان والذهبي والمزي وغيرهم !

ولكن من عادة أهل العلم أنهم لا يدققون في مثل هذه القصص الواردة عن التابعين فمن بعدهم من السلف الصالحين ، والتي يراد منها الترغيب في التوبة والطاعة ، وأخذ العظة والعبرة .

بخلاف ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيجب التثبت منه لقوله صلى الله عليه وسلم : (إن كذبا علي ليس ككذب علي أحد ؛ من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) . رواه البخاري (1229) ، ورواه مسلم في مقدمة

صحيحه (3) دون قوله : " إن كذبا علي ليس ككذب علي أحد " .

وكذلك الأخبار الواردة عن الصحابة ؛ لا بد من التثبت منها ، لأنه يعتمد عليها ؛ خاصة الواردة في العقائد والأحكام ، أما الواردة في الزهد والرفائق ، فإن من العلماء من يتسامح فيها بشروط ، سبق بيانها في جواب السؤال رقم : (282886).

والحاصل : أن هذه القصة غير ثابتة فيما يبدو ، ولا نعلم لها إسنادا يعتمد عليه .

لكن من ذكرها للعبارة : فلا إثم عليه ؛ وينبغي أن يذكرها بصيغة التمريض ، فيقول : روي عن مالك بن دينار ، أو حكي ، أو ذكر ، أو ينسبها لمن ذكرها كابن قدامة في كتاب التوابين أو نحو ذلك .
والله أعلم.